فى الأعلى، الأوسع، الألطف. إذا كان التطور الشخصى لـــه أهميتـــه الكـــبرى فـــى مستوياتكم الدنيا، فإنه ليس بالمثل فى المستويات العليا.. فأنت إذا نظرت مـــن خـــلال الميكروسكوب وجدت أن الخلية، هى نواة الحياة، أما بالعين المجردة، فإن الحياة تُعـبر عن نفسها بشكل آخر، فمن ينظر إلى الجسم البشرى ككل، لا يلتفـــت إلـــى مليـــارات الخلايا التى تكونه، إن العَالِم الاجتماعى، أو المؤرخ، يستطيع بنظرة أكثر شـــمولا أن يهمش الدور الفردى، فى نظرته إلى شعب أو حضارة.. فالأولويات تتغير باســـتمرار مع تغير المستوى الذى تنظر منه، ومع ذلك فالحضارة يجب أن تعتمد علـــى الأفـــراد الأصحاء لمعرفتهم غير المحدودة، مقارنة بالخلايا المريضة.

إن الخلية تمنح الحياة للجسم، والأفراد يحيون فى داخل المجتمعات التى تســاعدهم، تطعمهم، تعالجهم، وتحميهم.. الكل فى خدمة الصالح العام لهذه الخلايـــا الصغـــيرة.. فالأكبر يعتمد على الأصغر، والعكس صحيح، لا يمكن إهمال ذلك.

وماذا تنتج الحضارة؟ مجتمع إنسانى نستطيع أن ندرس مظاهره جيداً من هنـــا !.. مظاهر مادية، مبانى شامخة، أدوات، وأسلحة.. نعم كل ذلك، وعلـــى الأخـــص قيمـــا ومعانى روحية تظل تعيش ملموسة، حتى لو اضمحلت المجتمعات التى نشأت منـــها.. فروح الحضارة اليهودية ما زالت تعيش على الرغم من اختفاء معبد سليمان ... علـــى قدر ارتقائكم فى اللطيف، تستمر الحياة بشكل أو آخر.

إن أشكال الحياة ليست لها إلا أهمية نسبية، فهى تمثل التكيف المؤقـــت للوســـط، فالجسم البشرى ما هو إلا جهاز متعب، مستهلك، لا قيمة له من حيث الظاهر فى العالم المادى، إلا كوسيلة للكسب ... ومكسبه فى بناء نفسه، هذه النفس التى تنطلـــق مـــن الجهاز البشرى، بعد أن يصبح عديم الأهمية بظاهرة الموت، والتى عندها تتكيف مـــع وسط جديد.

وكما أن الشخص البدين يجد صعوبات جمة فى صعوده لقمة جبل، كذلك النفـــس المثقلة بالأوزار تجد صعوبة كبيرة فى الرقى.. إن فريق تسلق الجبال لا يصحب معـــه إلا القادر، وكذلك النفس المثقلة لا تجد لها مكانا فى المستويات الروحية العليا، ولكـــى